الحملة الوطنية الشاملة لمواجهة أخطار الصفار في

التعليم في الموصل في القرن التاسع عشر

الدكتور سالم الحمداني

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

تمهيـــد

شهد العراق منذ غزو هولاكو لبغداد عام ٦٥٦هـ حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، تخلفاً فكرياً أدى إلى طمس كثير من معالم الحضارة العربية الاسلامية، التي أرسى بناءها العباسيون في كل ميادين العلم والمعرفة.

وقد كان العراق ساحة للمعارك والخصومات ،والتي كان أقواها الصراع بين الدولتين الفارسية والتركية،والذي انتهى بسيطرة الأتراك في آخر الأمر، وكان له أثره السيىء على العراق في كل المجالات وخصوصاً الفكر والثقافة. وقد أدت سيادة الأتراك العثمانيين على العراق إلى التخلف في الميادين المختلفة، وخاصة بعد أن اصبحت الدولة العثمانية عاجزة عن الصمود أمام جحافل الجيوش الأوربية في حروبها التي كانت امتداداً للحروب الصليبية. وقد أدى ذلك كله إلى إهمال الولايات العثمانية، وتبعه تخلف في الفكر، فعم الناس الجهل، وسدّت في وجوههم أبواب التعلم وغدا التعليم جسماً بلا روح، فأنحطت أساليبه، وعقمت مفاهيمه، وضعفت مادته، وفقدت مناهجه، وجهل معلموه، وغاب طلابه، حتى ليخيل إلى الأنسان، أنه يعيش في جو من الجهل المطبق، لولا مابقي من الدراسات الدينية التي هدفت إلى خدمة الاسلام وحفظه من عبث العابثين.

ولربما كان للوشيجة الدينية التي ربطت العرب بالأتراك، السبب الذي حفظ لتلك الدراسات مصيرها من الضياع والإهمال.

وعلى الرغم من ان العثمانيين قد اساؤا معاملة العرب،إلا انهم لم يقطعوا الخيط الذي كان يصلهم بهم،وبهذا الخيط اي الاسلام تمكنوا ان يستولوا على نفوس العرب الذين — رغم ماأصابهم من أذى الأتراك — لم يقطعوا هذه الوشيجة.

وعلى أية حال، فأن القرن التاسع عشر شهد حركة تعليمية، تجلت في تأسيس دور التعليم التي كان الطلاب يؤمونها لينهلوا منها علوم الدين وعلوم العربية.

وعلى الرغم من سوء الحالة الاقتصادية التي تميز بها القرن التاسع عشر نتيجة الحروب التي أنهكت الدولة، الا أن هذه الحالة لم تحل بين

الناس وبين طلب العلم ، ومرد هذا في رأينا، هو طغيان الروح الدينية وتمكنها في نفوس ، الناس . فقد كان اجلالهم للاسلام ، وللقرآن بالذات حافزاً قوياً يدفعهم الى طلب العلم وتلقية. كما أن (تأسيس المطابع الحديثة ... وتأسيس الخط التلغرافي وتنظيم شؤون البريد ، واصدار الصحف والمجلات كان له الأثر البعيد في تنبيه الأذهان) (١)

يضاف الى هذا،الصلة التي كانت بين العراق والعالم العربي من جهة ، وبينه وبين الفرس والأتراك من جهة ثانية ، والى ما كان يسمعه الناس عن التقدم العلمي والفكري في أوربا ، كل هذه الأسباب قد فتحت اذهان الناس وجعلتهم يتلهفون الى التعلم بكل أشكاله ، ومختلف أساليبه .

معاهد العلم

الكتاتيب :وجدير بالملاحظة هنا أن نشير الى ان دور العلم هذه كانت على نوعين :

الكتاتيب التي اقتصرت فيها الدراسة على العلوم الدينية وما يتعلق بها من علوم العربية ، والمدارس التي اكتسبت صفة الحداثة ، ودرست فيها — اضافة الى هذه العلوم — الحساب والهندسة والفلك والمنطق وغيرها .

كما أن الكتاتيب نفسها كانت على نوعين : (أحدهما يديره الملاّ أو (اللاّلا)، ويكون للصبيان ، والآخر تديره المللية من النساء ، ويكون خاصاً بجماعة البنات وربما ألحق به أطفال من الذكور الصغار) (٢) والجدير بالذكر ان هذه الكتاتيب كانت تسير جنباً الى جنب مع المدارس التي اتخذت طابعاً آخر في التعليم،وانها قد استمرت حتى العقد الرابع من هذا القرن ، ومعنى هذا ان المدارس الحديثة لم تستطع أن تقضي بسرعة على الكتاتيب ،ويعزى هذا في رأينا الى الطابع الفكرى السائد ، كما يعود الى ضعف الحياة المعاشية ، لأن مدة التدريس في الكتاب كانت أقل . وكان الهدف منها هو أن يتعلم الصبيان مبادىء الدين والقراءة

(١) عبد الرزاق الهلالي: تاريخ التعليم في العراق ص ١٢٤

(٢) جلال الحنفي: الصناعات والحرف البغدادية ص ١٠٢

والكتابة ليلتحقوا بعدها بآبائهم في أعمالهم ، أو ليتخذوا لحياتهم مهنة تعين أهليهم على مجابهة الحياة الصعبة ،بينما يتطلب الانتماء الى المدارس استمرار الطالب في دراسته ليتلقى العلوم الاخرى التي أشرنا اليهـــا ، أو ليصل بالعلوم العربية أو علوم الدين ، غاية مايصبو اليه، وهو نيل الاجازة العلمية. وعلى الرغم من أن السلطات العثمانية قامت بفتح المكاتب الأولية والا بتدائية في أوائل القرن التاسع عشر، لتحل محل الكتاتيب(١)، الآ ان هذه المدارس لم تستطع أن تقضي عليها، بل سارت معها جنباً الى جنب تؤدي رسالتها في خدمة علوم العربية والدين.

أما مكان الكتّاب فكان دار (الملاّ) نفسه. وقد يُتّخذ من الجامع القريب من دار الملاّ مكاناً للكتاب.

وأما عن اسلوب الدراسة فيه، فسيأتي في مكانه المخصص له.

المدارس

شهد القرن التاسع عشر حركة نشيطة في نشر العلم والمعرفة عن طريق المدارس التي كان يشجع على انشائها العثمانيون، وخاصة ولاتهم الذين تقربوا من العلماء ورجال الدين، عن طريق تأسيس المدارس، وقد أقيمت تلك المدارس في المساجد حينا، وفي بيوتات الموسرين وذوي البر أحياناً أخرى. (وكانت هذه المدارس والمساجد التي شهدت حلقات الدرس، منتشرة في بغداد والموصل والنجف والحلة وكربلاء والكاظمية وسامراء والبصرة (٢) . وقد أهتم الولاة العثمانيون بهذه المدارس الى درجة أنهم كانوا(يوقفون لها الأوقاف الخيرية) (٣) ومن أشهر الولاة الذين اهتموا بتأسيس هذه المدارس (داود باشا الذي بذل جهده... فقرب اليه العلماء والادباء، وحرض الناس على

---

(١) عبد الرزاق الهلالي: تاريخ التعليم في العراق ص ٦١

(٢) ابراهيم الوائلي: الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص٩٩

(٣) عبد الرزاق الهلالي: تاريخ التعليم في العراق ص ٤٣

الأشتغال بالعلوم والأداب... فبنى عدة مدارس وجوامع ومساجد... وبلغت المعاهد العلمية بسعيه ٢٨ معهداً) (١)

ومن هنا فليس من المستغرب أن تكون الصلة بين والي بغداد داود باشا وولاة الموصل من الجليليين وطيدة، ففي الوقت الذي كان فيه والي بغداد يشجع العلماء ويقرب الادباء ويكرم الشعراء، كان ولاة الموصل من هؤلاء يفعلون اكثر مما يفعل هذا الوالي (٢). ومما يؤكد هذا، كثرة المدارس التي اسسها الجليليون والتي عينوا لها المدرسين، وانفقوا عليها، وأوقفوا لها الأوقاف الخاصة ، واجروا لها الجرايات، واتحفوها بالمكتبات، التي لاتزال بعضها عامرة إلى الآن (٣).

ومما يزيد من تأكيد هذه الظاهرة — ظاهرة تأسيس المدارس وفتحها — هو اتفاق ميول الولاة مع ميول الموسرين ، والاسر الكبيرة التي اسهمت في تأسيس هذه المدارس ، فيما عدا الاسرة الحاكمة (فلقد ساهم كثير من الاسر الموصلية في هذه النهضة ... فاسسوا عدة مدارس ... ونبغ منهم علماء كانوا من قادة هذه النهضة مثل آل العمري وآل الفخرى وآل الغلامي وبيت بكر افندى وبيت ياسين أفندي وبيت شيخ الفقراء وبيت محضر باشي وآل الواعظ) (٤) .

والحق ان القرن التاسع عشر بالنسبة للموصل كان عصر النهضة العلمية ،ولعل هذه المدينة كانت تنافس بغداد في كثرة علمائها وشعرائها وأدبائها ، فقد كان بعض هؤلاء — وهم يعدون بالعشرات — يفدون إلى بغداد ، ويتصلو ن بولاتها ، وخاصة أيام الوالي داود باشا ، ويتناقشون مع علمائها ، ويتبارون في الشعر مع شعرائها ، ومن شعراء الموصل هؤلاء عبد الباقي العمري وعبدالغفار الأخرس ، وقد كان الأول أثيراً لدى الوالي داود باشا .

واذا كان للجليليين وهم آنئذ ولاة الموصل النصيب الأكبر في تشجيع حركة

(٤) المصدر السابق ص ٦٤، وانظر ايضاً: سليمان الصائغ: تاريخ الموصل ٢/ ١٣٥

(٢) انظر: سالم احمد الحمداني: عبد الباقي العمري، حياته وادبه ص١٧

(٣) انظ سعيد الديوجي: مدارس الموصل في العهد العثماني ص٥

(٤) المصدر السابق ص٧

العلم والادب ، وكان لهم اسهامهم في فتح المدارس ، وتأسيس دور العلم فان هذا لم يقتصر على ولاتهم فحسب (فقد انشئت عدة مدارس قبل عهد الجليليين ، اهمها المدرسة اليونسية ودار القرآن اليونسية ومدرسة طه أفندي محضر باشي ، ومدرسة الجامع النوري ، والمدرسة الخزامية والمدرسة العمرية والمدرسة العبدالية ، ومدرسة الحاج محمود النومة ، ومدرسة ياسين أفندي المفتي ، ومدرسة محمود أغا السعرتي) (١) .

ويلاحظ ان العديد من اسماء مؤسسي هذه المدارس لاينتمي إلى الاسر الكبيرة الشهيرة ومعنى هذا ان ذوى اليسار من رجالات الموصل كانوا يعنون بالعلم والعلماء ، لان هذه المدارس تحتاج إلى عون مادي كثير . ويمكن القول ان العشرات من أمثال هؤلاء الناس كان لهم السبق في انشاء هذه المدارس ومن يراجع قوائم المخطوطات التي تمتلكها العوائل في الموصل يقف على المدى البعيد الذي لعبته تلك الاسماء في مجال العلم والمعرفة . ويمكننا ان نقول ان كل جامع من جوامع الموصل وكل بيت معروف ، كان مدرسة يؤمها طلاب العلم ، ومن هنا فأن العشرات من هذه المدارس كانت تنتشر في رحاب هذا البلد ، وكأن هذه الرحاب جامعة كبيرة او مؤسسة علمية واسعة تلفت النظر . ومن هذه المدارس التي لايزال أغلبها ماثلا أمام العين بخطوطه ومحاريبه وجدرانه ، مدرسة المدرس ، ومدرسة جامع التوكندى ، ومدرسة جامع باب الطوب ، ومدرسة الحاج زكريا ، ومدرسة الاحمدية ، ومدرسة ابن الحبار ، ومدرسة الخزندار ، ومدرسة جامع الجويجي ، ومدرسة الشيخ أبي العلا ، ومدرسة الجلبي ، ومدرسة جامع سوق العلوة ، ومدرسة بكر افندى وغيرها . ومن المؤسف حقاً ان تصبح اغلب هذه المدارس في عداد الدوارس ، بعد ان كانت منارا للعلم وموئلا للعلماء . والحق ان الاسرة الحاكمة الجليلية كانت تهتم بشأن المدارس والعلم اهتماماً يفوق ما أشرنا اليه ، ففي الوقت الذى كان فيه رجال هذه الاسرة ولاة للعثمانيين

---

(١) المصدر نفسه ص٧

على الموصل ، وكانت اللغة التركية هـي اللغة المفروضة على الناس كان هؤلاء الحكام يشعرون بعظم شأن اللغة العربية ودورها في العلـم والتعليم ، ومن هنا فقد (عينوا بجانب كاتب التركية في ديوان الوالي كاتباً آخر للغة العربية)(١) .

واكثر من هذا فقد كان رجالهم يشاركون(في هذه النهضة العلمية والأدبية التي غرسوا بذورها،فكان منهم العالم والطبيب والأديب والشاعر والمؤرخ)(٢)

أما عن المدارس التي اسسوها، وأجروا لها الجرايات وعينوا لها المدرسين فهي كثيرة، وتدل كثرتها على مدى اسهام رجالات هؤلاء الحكام في تقدير العلم ونشر المعرفة. ومن هذه المدارس(المدرسة الخليلية والمدرسة الجرجيسية ودار القرآن الرابعيه ، والمدرسة العثمانية والمدرسة الأمينية والمدرسة المحمدية ودار القرآن المحمدية ودار الحديث المحمدية ومدرسة مسجد القراءة ومدرسة أحمد باشا الجليلي ومدرسة محمود باشا الجليلي والمدرسة النعمانية والمدرسة الحسنية ومدرسة يحيى باشا الجليلي التي قال عنها عبد الباقي العمري :

يحيى نظام الـدين والدنيا معاً أحيا دروس العلم بعد ذهابها
وبنى لنشر الفضـل مـدرسة حـوت كتباً فأوقفها عـلى طلابها

ومن هذه المدارس ايضاً مدرسة الخاتون ومدرسة الحجيات (٣) .

ان هذه المدارس التي انشأها الولاة الجليليون أو التي اسسها غيرهم ممن أشرنا اليهم، لم تكن مجرد دور لقراءة القرآن وتعلم مبادىء القراءة والكتابة، كما كان الحال في الكتاتيب، بل كانت مجالا للعلماء والفقهاء والمدرسين الذين أحاط بهم المئآت من طلاب العلم والمعرفة، والذين قصدوهم من قريب أو بعيد. وكانت هذه لمدارس معاهد علم بحق، اذ أنها امتلأت بالكتب المختلفة (ومن يطالع سجلات مديرية الاوقاف العامة يجد ان هناك نحو ثلاثين مدرسة دينية كانت ولاتزال مرتبطـة بها، تجري فيها تدريسات العلـــــوم العقلية والنقلية) . (٤)

---

(١) سعيد الديوجي: مدارس الموصل في العهد العثماني ص٣
(٢) المصدر السابق ص٤
(٣) المصدر السابق ص٧
(٤) عبد الرزاق الهلالي: تاريخ التعليم في العراق ص ٨٣

ولقد ارتبط بتدريس هذه العلوم العديد من الاسماء التي لمعت في سماء العلم والمعرفة من أمثال يوسف العمري والشيخ علي محضر باشي والشيخ المفتي عبد الرحمن افندي الكلاك .

ويلاحظ مما سبق ان الولاة الجليليين قد أسهموا بإنشاء المدارس بشكل يفوق ماهو متوقع ، فما تعليل ذلك عند من أرخوا لهذه الفترة؟ يرى داود الجلبي أن (هؤلاء الولاة كانوا حائزين على نوع من الاستقلال ، فتمكنوا من مساعدة هذه النهضة العلمية ، وكثرت العلماء والادباء والمؤلفون في زمانهم... وكان دأبهم تشييد الجوامع والمدارس ، وحبس مايقتنونه من الأملاك عليها طلباً للثواب وارضاء للعامة) (١) ولاشك ان هذا التعليل صحيح ،لأن الولاة الجليليين بالذات لم يكونوا يعينون من قبل والي بغداد ، كما هو الحال بالنسبة لغيرهم ، وانما يتم تعيينهم من الاستانة نفسها .

ومما يدل على تطور المدارس على عهد هذه الاسرة ، تطور المواد التي كانت تدرس فيها ، فهي لم تقتصر على تدريس علوم الدين والقرآن والعربية ، وانما درس فيها ايضاً(المنطق والفلسفة والعلوم الرياضية وتشريح الأفلاك) (٢) .

ومما يدل على نشاط المدارس في ظل الجليليين ، ان المدارس القديمة (ظلت آهلة بالمدرسين والطلاب ، وشيدت مدارس جديدة ، ونشأ علماء أعلام وادباء فضلاء طول مدة ولاية بني عبد الجليل ، حتى لقد نجد في ماتركوه من المؤلفات ان نوابغ علماء الدين والشعراء والمؤرخين واللغويين وأرباب التأليف الذين نشأوا في ذلك الزمان كان عددهم يفوق في الوقت الواحد عدد من يوجد اليوم في الموصل من أرباب هذه العلوم) (٣).

---

(١) داود الجلبي: مخطوطات الموصل ص١٣ –١٤ ، وانظر ايضاً سليمان الصائغ. تاريخ الموصل ٢/ ٢٠٤ ، وسعيد الديوجي مدارس الموصل في العهد العثماني ص ٦ – ٧

(٢) سليمان الصائغ: تاريخ الموصل ٣٢٢/١

(٣) داود الجلبي: مخطوطات الموصل ص١٦– ١٧

وعلى الرغم من استمرار وضع هذه المدارس إلى وقت قريب، فإن النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد شهد تقدماً ملموساً في وضع المدارس وحال التعليم، وذلك حين بدأ العثمانيون بأنشاء مدارس تركية حديثة(في بغداد وغيرها، ولكن هذا العمل لم يبدأ الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد أن اسست المدارس الحديثة.... فقد انشيئ مكتب رشدي في بغداد أيام الوالي محمد نامق ، في ولايته الثانية سنة ١٨٦٨م، ثم أسست ثانوية للبنين وفي عام ١٨٩٨م انشئت ابتدائية للبنات، وتبعتها ابتدائيات أخرى في الألوية) (١) .

والحق ان الموصل كانت السباقة في انشاء هذه المدارس الحديثة وذلك لأن(اول مدرسة ابتدائية حديثة اسست في مدينة الموصل يرجع تأريخها الى عهد ولاية كنعان باشا، فقد تم تأسيس مكتب حديث في الموصل سنة١٨٦١ ، وكان يضم صفوفاً ابتدائية، وصفوفاً أخرى للدراسة الرشدية، وفي سنة ١٨٩٤ انشيئ في الموصل مكتب ابتدائي ثان) (٢) ولعل من المفيد ان نذكر ان مدارس الطوائف في الموصل، وفي القرى التابعة لها كان لها أثر شديد في تحديث عملية التعليم ، فإن الدومنيكان الذين وفدوا إلى هذه المدينة منذ منتصف القرن الثامن عشر — كما أشرنا — وتأسيسهم المطبعة وغيرها، كل ذلك ساعد على أن تكون الموصل أسرع من غيرها في انشاء هذه المدارس ، ومن ذلك ايضاً ماقام به(الشماس روفائيل مازجي سنة ١٨٦٣ بتأسيس مدرسة داخلية للشبان الكلدان في الموصل، جهزها بجميع اللوازم .

وبعد فترة افتتحت ثانية، واستكمل بناءها يوسف عما نوئيل الثاني بطريرك الكلدان، وصارت تعرف فيما بعد بأسم (مدرسة الكلدان) ، وقد أخذت هذه المدرسة تدرس العلوم الحديثة، وبعض اللغات الأجنبية لاسيما اللغة الفرنسية (٣). وقد انشئت مدارس أخرى في بداية القرن العشرين كمدرسة

(١) ابراهيم الوائلي: الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص٩٦

(٢) عبد الرزاق الهلالي: تاريخ التعليم في العراق ص ١٧٧

وانظر ايضاً: سليمان الصائغ: تاريخ الموصل ٣٢٣/١

(٣) عبد الرزاق الهلالي: تاريخ التعليم في العراق ص١٩٣

السريان التي أسست سنة ١٩١٤، ومدرسة اليعاقبه التي انشئت سنة ١٩١٤ أيضاً.

ومما يدل على تطور المدارس في هذه المدينة أن الحكومة(أنشأت مكاتب رسمية أرقى درجة من الابتدائية، فكان في الموصل حوالي ١٣٣٠هـ مكتب إعدادي، وست مدارس أولية ، عدا مدارس الجوامع ومدارس الطوائف للذكور والأناث، ثم أنشأت الحكومة داراً للمعلمين ومكتباً للصنائع، وقد احدثت هذه المدارس حركة علمية بين الأهالي) (١).

ومن هنا يمكن القول، ان مدينة الموصل قد تصدرت كل الولايات العثمانية في العراق في نشاطها العلمي، وهذا الذي تتميز به هذه المدينة لايزال يحيافي صورته المشرقه حتى هذا اليوم.

أن تأسيس المدارس الحديثة هذه، يحيلنا إلى مسألة أخرى، وهذه المسألة هي مدارس الطوائف الأخرى من المسيحيين واليهود، من ذلك(ان المرسلين الدومنيكان الذين قدموا إلى الموصل سنة ١٧٥٠م فتحوا مدارس لمختلف الطوائف، وكان للراهبات المعروفات، بأخوات المحبة أثر في تعليم المرأة بالموصل، اذ فتحن مدارس للاناث سنة ١٨٧٣ وكنّ يقبلن المسلمات كالمسيحيات) (٢).

والحق ان هذه الجماعة من الطائفة المسيحية لم يقتصر أثرها على فتح المدارس الحديثة ونشر العلوم فقط، وانما فضلها يتأتى من أنها استخدمت أحدث الأساليب لتقريب العلوم الحديثة إلى الناس، وتسهيل عملية التعليم فبعد أن كان طالب العلم لايستطيع الحصول على الكتاب المخطوط لارتفاع ثمنه، وعدم وجود نسخ عديدة منه، سهل أمامه الحصول على الكتاب وقراءته بفضل المطبعة التي كانت تطبع فيه الكتب، وهذه المطبعة أسسها هؤلاء المرسلون

---

(١) سليمان الصائغ: تاريخ الموصل ٣٢٣/١

(٢) ابراهيم الوائلي: الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص٩٨

الدومنيكان(عام ١٨٦٠ وكانت عاملا مهماً في مساعدة المعلمين والطلاب لتوفيرها الكتب والمراجع العلمية التي طبعوها باللغات المختلفة) (١).

وقد تحقق اسهام المسيحيين في دعم التعليم عن طريق صلاتهم التبشيرية بفرنسا، التي بدأت تولي اهتمامها بمنطقة الشرق العربي مع غيرها من الأقطار الأوربية الأخرى وخاصة انكلترا، ولاشك ان الفرنسيين قد بذلوا(عن طريق هذه الارساليات جهوداً فعالة في سبيل نشر اللغة الفرنسية في العراق حتى أصبحت لغة شائعة لاسيما في الموصل، ويمكن القول ان الجو الثقافي في مدينة الموصل كان جواً يتسم بطابع فرنسي بارز بسبب مانشروه من كتب ونشرات ثقافية) (٢).

ولم تكن الطوائف المسيحية وحدها لتسهم في انشاء المدارس الحديثة في القرن التاسع عشر، وانما كان لطائفة اليهود أيضاً دور مهم في هذا المجال، فقد أهتم هؤلاء(بتأسيس مدارس لأبنائهم وبناتهم فأسسوا اول مدرسة يهودية في بغداد عام ١٨٦٥ بأشراف الحلف العالمي اليهودي ثم اسسوا مدارس الأتحاد(الإليانس) واستقدموا لها اساتذة من اوربا واهتموا بتعليم الفرنسية والفارسية والعربية والتركية) (٣) ثم اسسوا لمدرسة الاليانس هذه فرعاً في الموصل يعتبر من اقدم المدارس الحديثة في هذه المدينة، ولايزال بنيانها قائماً حتى هذا اليوم حيث يدرس فيها طلاب مدرستين متوسطتين هما الحدباء للبنين والفاروق للبنين ولقد تطور حال هذه المدارس في الموصل حتى وصل الأمر الى ان ينشأ فيها دار للمعلمين الابتدائية عام ١٩٠٠، وكانت باديء أمرها تحتوي على صفين) (٤).

ولا بد من الاشارة الى تخطيط هذه المدارس القديمة ، فقد كانت بسيطة لكن بساطتها لايمنع من احتوائها لعدة (غرف للتدريس وأخرى لمعيد الدرس

---

(١) عبد الرزاق الهلالي: تاريخ التعليم في العراق ص ١٩٩

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٧

(٣) ابراهيم الوائلي: الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص ٩٧

(٤) عبد الرزاق الهلالي: تاريخ التعليم في العراق ص ١٨٢

ويكون داخل غرفة المدرس خزانة كتب ويكون في المدرسة غرفة او اكثر لسكنى الطلاب الفقراء، وفي المدرسة مصلى (١) على ان سذاجة دور العلم تلك وبساطتها ، لايمنع ان يكون لها نظام وان يتولى ادارتها لجان خاصة تشرف عليها ، من ذلك فقد (ألف سنة ١٨٨٣ بعد صدور نظام تشكيل المجالس ... وبموجب النظام عينت وزارة المعارف أدارة خاصة في كل ولاية للاشراف على شؤون المدارس ،ومنها الموصل .... وفي ولاية الموصل تشكلت لجنة للاشراف على ادارة مجلس المعارف (٢) .

وأما عن أساليب الدراسة في القرن التاسع عشر، فذلك ما يحتاج الى تفصيل يبين تطوره وتقدمه :

أساليب الدراسة ومناهجها

اعتمدت الدراسة في الكتاتيب على الاساليب القديمة. ويمكن ان يقال انها انحطت عنها بسبب الظروف الصعبة التي رافقت هذه الكتاتيب من شحة الكتب الى فقر الدارسين وسوء أحوالهم المعاشية . وأذا قيست الحياة العلمية والأدبية في القرن التاسع عشر بالنسبة الى ما كان يجري في العصر العباسي فانها تبدو منحطة جداً . ومهما يكن من أمر الدراسة في الكتاتيب فانها كانت (تعتمد على التكرار الممل والقراءة الصائبة ... وللطلاب عند (الملاّ) منازل معينة ، فالمبتدئون تكون منازلهم بعيدة عنه، والمتقدمون في القراءة والكتابة يكونون أقرب اليه ... وبعد ختم القرآن يبدأ الطالب بتعلم الكتابة والاعمال الحسابية الاربعة وعلى هذا يمكن القول بان خط الكتاتيب في التعليم كان ساذجاً (٣) .

وأذا كانت السذاجة هي الصورة السائدة في تعليم الكتاتيب، فإلام يعزى انحطاط هذه الصورة ؟ أغلب الظن ان (الملاّ) نفسه لم يكن واسع الثقافة ولو كان ذلك لتصدر التدريس في المدارس الدينية ، كذلك فان الكتاب كان

---

(١) سعيد الديوجي: مدارس الموصل في العهد العثماني ص٧

(٢) عبد الرزاق الهلالي: المصدر السابق ص ٢٢٧

(٣) عبد الرزاق الهلالي: المصدر السابق ص ٤٨ و ٥١

يخلو من الأساليب التي نجدها متبعة في المدارس ، وكان يفتقد نظام التدريس .
ولعل المرحلة التي يبدأ بها الكتّاب التدريس ، لها أثرها في ذلك (فالملاّ) لايتعامل الا مع الصبيان الذين يصعب ضبطهم ، وهو نفسه لايمتلك من الثقافة والخبرة والعلم ما يمكنه من السيطرة عليهم ، وهذا بالضبط يضطره الى ان يسلك اسلوب (القسوة والصرامة وكانت السمة السائدة في الكتاتيب وقتذاك ولم تكن مستهجنة حتى من قبل ذوي الطفل) (١) .
ومما يدل على سذاجة التعليم في الكتاتيب عقم الطريقة التي كان الطلاب يتلقون بها تعليمهم ،فلا مناقشة أو محاورة ،ولا هناك من يسأل وليس هناك من يجيب ، وكل الذي كان يحصل ان الملاّ (يخصص أحد ايام الاسبوع للقراءة الجماعية حيث تختلط الاصوات والنغمات بشكل غريب ، وربما استعان مساعد الملا بالطلاب المتقدمين لتعليم الطلاب الجدد) (٢)
ومعنى هذا ان الدراسة في الكتاتيب كانت عملية تلق من جانب واحد ، بل كان يقوم بها مساعد الملا أو الطالب الجيد ، وفي هذا ما فيه من سذاجة وقلة نفع .

و أذا انتقلنا الى اساليب الدراسة في المدارس وجدناها تختلف عن الكتاتيب في أساليبها ، ولكنها مع هذا كانت متأخرة لان القائمين على التدريس قد (تمسكوا بالجمود على الديباجة العتيقة والجفاف في الاسلوب والتفاهة في الافكار ، وجرت المؤلفات على هذا النمط) (٣) ويبدو ان اسلوب الدراسة هنا لم يكن هو الاخر قائماً على المشاركة بين الطالب والاستاذ بشكله الصحيح ، وغالباً ما يتبع الأستاذ اسلوباً يجمد فيه قرائح الطلاب وقابلياتهم الغنية . ومن هنا اعتبرها البعض (طريقة سقيمة جمدت على القواعد وقلما تعنى بالتطبيق واكثرت من ضياع الوقت الثمين بحفظ المتون من غير عناية بالتعبير) (٤)

(١) جلال الحنفي: مجلة المعرفه ٥٣/٣
(٢) المصدر نفسه ٥٤/٣
(٣) علي علاء الدين الآلوسي: الدر المنتثر في اعيان القرن الثاني عشر والثالث عشر ص٤
(٤) المصدر نفسه ص٤

ويبدو ان طريقة تلقي العلم كانت تتم عن طريق الحلقة اذ كان الطلاب يلتفون حول المدرس في حلقة ،وهو يملي عليهم دروسه إملاء او يناقشهم فيها ويسألهم فيجيبون أو يشرح لهم فيستفسرون وقد كان بعض المدارس (يضم اكثر من حلقة يرأسها استاذ يلقي ويفسر ويشرح ويستمع استيضاح او مناقشة)(١) .

ولا شك ان هذه الطريقة او تلك تتوقف على المدرس ونوعيته في كثير من الأحيان ، ومن هنا تألق بعض المدرسين في سماء العلم، فذاع صيتهم وبقي ذكرهم ممثلا في تلاميذهم الذين لاتزال تحتفظ بهم مدينة الموصل ومن هؤلاء الاعلام الكبار الشيخ عبدالله النعمة والشيخ محمد الرضواني والشيخ أحمد الجوادي والشيخ صالح الجوادي وممن ذكرنا من آل العمري وآل الفخري وغيرهم.لقد استطاع أمثال هؤلاء الشيوخ ان يخرجوا جيلا نافعاً من العلماء الاعلام .(فالطلاب يتنقلون في تحصيلهم على العلماء الاعلام الذين استفاضت شهرتهم.. والتحصيل والفائدة متوقفان على جهد الطالب واستعداده واجتهاده(٢) .

ومما يتعلق بمناهج الدراسة ، الموضوعات التي كانت تدرس للطلاب ، وهي موضوعات تتعلق بالدرجة الاول بدراسة القرآن وعلوم الدين ، ثم دراسة العربية وما يتصل بها من نحو وصرف وبلاغة وغيرها . فاذا ما انتهى الطالب من دراسة هذه الموضوعات تحول الى غيرها كالمنطق والفلسفة والحساب والهندسة والطب وغيرها مما يتيسر تدريسه في المدرسة .

ويندرج تحت هذه الموضوعات مواد كثيرة ، فقد كان الطالب يدرس الاجرومية والفيه ابن مالك وغاية الاختصار في فقه الشافعية وفي علم الفرائض المنظومة الرحبية ، ثم يبدأ بدراسة شيء من فقه الحنفية والشافعية وبعض الرسائل المنطقية وكتب الحديث ، ثم يقرأ بعد ذلك شرح التوشجي للرسالة الوضعية والعضدية ثم حواشيها ... وشرح السراجية في الفرائض ثم الأخلاق،

(١) ابراهيم الوائلي: الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص٩٩

(٢) علي علاء الدين الآلوسي: الدر المنتثر ص٨

وشرح الوصفية لعصام وشرح النخبة للحافظ بن حجر العسقلاني ، ثم مسألة الصفات من الخيالي . وما أن يبلغ الثلاثين حتى يكون مهيئاً للاجازة ويصبح في عداد المدرسين) (١) .

ولم يكن طالب العلم ليقرأ ذلك فحسب ، فقد يقرأ في النحو والصرف عدا الأجرومية شرح الشيخ خالد على حاشية العطار ، ثم الازهرية بحاشيتها ثم شرح القطر بحاشية العطار ثم شرح السيوطي على الفية ابن مالك ، ثم شرح الأشموني عليها بحاشية الصبان ، ثم مغني اللبيب لابن هشام ثم يقرأ كتباً أخرى كثيرة في الفقه ومثلها في المنطق والبلاغة (٢) والعقائد وأصول الفقه والحديث والتفسير ، ثم يأخذ شيئاً في الحكمة والمقامات والحساب. وهكذا لايجاز الطالب الا بعد ان يمر على هذه المواد واكثر ، وبعد أن يجتازها بنجاح ، وبعد أن يثق مدرسة بقدرته على حمل الأمانة والاحتفاظ بالرسالة . وليس بهين على كل من قصد رحاب العلم اجتيازها ، كما انه ليس بسهل على كل من تصدر التدريس أداء حقه بجداره . ومن هنا لاتمنح الاجازة العلمية الا للكفء من الطلاب ، ولا يكلف بالتدريس إلا من حسنت سمعته وطارت شهرته وغزر علمه وزاد فضله وعظم خلقه .

وأما الطلاب فلا يحمل لقبه العلمي الا من حسنت سيرته وطابت تربته ووثق به مدرسوه ، ولا يعتقدن أحد ان المدارس القديمة خلت من النظام ، وتحللت من الأعراف العلمية ، فقد كان فيه ضبط وانضباط و كانت الوسائل الانضباطية عندهم متعددة ؛فبالنسبة للثواب كان الطالب الحسن الخلق موضع تقدير المدرسة واحترامها .

اما العقوبات فتتدرج بين الحرمان من بعض المزايا وبين التأخر في الدراسة(٣) ومما يتعلق بهذا ان الناس (كانوا يرون في المعلم المهذب الأول لأولادهم

---

(١) محمود شهاب الدين الآلوسي: غرائب الاغتراب ص٦ — ٢٠

(٢) محمد بهجة الأثري: اعلام العراق ص٨٩ و ٩٠

(٣) انظر عبد الرزاق الهلالي: تاريخ التعليم في العراق ص٢٤٠

منهم يخولونه حق تأديبه ومعاقبته بأقسى العقوبة ، ان هو أساء التصرف أو قصر في أداء واجبه وكانت الكتاتيب .. تسلك هذا الطريق مع كل طالب كسول او مشاكس) (١)

واما ما يتعلق بالنواحي الأخرى من وضع الطالب ، كمعيشته وسكناه ووسائل راحته أو تعيينه ، فان وضع التعليم في القرن التاسع عشر قد وضع نصب عينيه حساباً لكل هذه الأمور . فأما من حيث التزامات طالب العلم فقد (كان التحضير والمطالعة واجباً إجبارياً للدرس الجديد ، واعادة للدرس الماضي مع الطلاب المعيدين ، ولا يحضر درس الاستاذ من غير تحضير) (٢)

وأما بصدد أوضاع الطلاب في راحتهم وحياتهم المعاشية فقد كانت (قاسية خشنة ، وكان معظمهم يقيم في حجر أعدت لهذا الشأن ، وأما وسائل الراحة فهي مفقودة لدى الكثير منهم ، ولم تكن مصادر العيش غير دراهم من وقف أو زكاة أو ما يرسله أهل الطالب ، أو ما يوزعه أهل اليسار ... ولم تكن الأوقاف ولا الخيرات والهبات والحقوق ، لتسد عوز الطلاب ، فقد كان أكثرهم يعاني مرارة العيش وعسر المورد وكان بعضهم لايجد قوت يومه (٣) فاذا كانت حياة الطلاب الدراسية على هذه الصورة ، وكان الكثيرون منهم يقتحمون مصاعبها ، ويتقبلون ارهاقها ، ويتحملون نكد العيش بسببها ، فما أجدر أن تحترم هذه النفوس ، وأن تقابل بالاجلال والتكريم . ان صورة الطالب المعاصر التي هيأت له الدولة كل أسباب الدراسة ووسائل التعليم وتكفلت به مع أهله وذويه ، لو قيست بصورة الطالب في القرن التاسع عشر لغدت باهتة مهلهلة ، وذلك أن ما ينفق على الطالب في هذا الوقت يعادل عشرات الاضعاف بالنسبة لما يُنفق على الطالب في ذلك العصر ، ولو قيس ما كان يعانيه السابقون من الطلاب باللاحقين منهم لغدا أولئك أكبر مما حكمت عليهم الكتب والدراسات .

---

(١) المصدر نفسه ص٥٧

(٢) علي علاء الدين الآلوسي : الدر المنتشر . وانظر ابراهيم الوائلي : الشعر العزاقي ص١٠٠

(٣) ابراهيم الوائلي : الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص١٠٠ و١٠٣

ان الكثيرين من الأميين في هذه الأيام والذين تدفعهم الدولة الى التعلم يهربون من عالم المعرفة الى عالم الجهل ، طمعاً في رزق أكثر وحياة أفضل وحال أيسر ، بينما كان المحتاجون من أولئك يتلهفون للعلم ويندفعون اليه ، ويتسابقون الى رحابه طمعاً في العلم نفسه ، واستزادة في المعرفة ، وتقرباً إلى الله وتلهفاً إلى قراءة القرآن .

ان صورة أولئك على مايشوبها من قلق ، لأعظم من صورة هؤلاء الذين يصرون على الأمية .

ولقد كان بعض اولئك الطلاب (يتخذ له مهنة تعينه على الطلب ، وطابع حياتهم الحرمان والكفاف ... وحياة الطلبة خشنة قاسية ، يلقى اربابها مشقة لايصبر على لأوائها الا الصابرون من أصحاب الطموح ، واكثرهم من القرى والمدن ذات الاقتصاد المتخلف ، فهم يلجأون الى هذه المدارس والأمل يحدوهم ان يصلوا الى مراكز مرموقة سبقهم اليها أفراد من أبناء اسرتهم أو مدينتهم ، فأصبح مدرساً أو واعظاً أو مفتياً أو قاضياً وغدت للواحد منهم وجاهة ومكانة اجتماعية يتمتع بالاحترام والجاه العريض)(١)

حقاً إنها صورة نابضة بالحياة وطافحة بالطموح . ان طالب الأمس لايقل حيوية عن طالب اليوم الذي لايعاني من الحرمان والضيق،ما كان يعانيه سلفه . ومن هنا نستنتج احترام الناس للعلم وتقديرهم للمعرفة ووفاءهم للعلماء واجلالهم للفقهاء ، فالرجل منهم لايصل الى ما وصل اليه الا بمجاهدة النفس ومناضلة الحياة .

وكان الطلاب يسكنون في دور مجاورة لمدارسهم (ولا سيما من كانوا غرباء عن البلد الذي يطلبون فيه العلم ، ولا يفارقونها الا في أوقات العطل) (٢) من كل هذا نصل الى ان حياة الطالب في القرن التاسع عشر كانت محفوفة

---

(١) علي علاء الدين الآلوسي: الدر المنتثر ص٩

(٢) المصدر نفسه ص٩

بالمتاعب ، مملوءة بالمشاكل ، ولولا حب للعلم ، وصبر على مشقاته ، واحتمال لطريقه الصعب الطويل ، ما نال من نال منهم ذلك المكان الذي صار فيما بعد شارة للاعتزاز والفخر .

نصيب المرأة من التعليم

جاء في كتاب تاريخ الموصل لسليمان الصائغ ما يلي :

(أقبلت الراهبات المعروفات بأخوات المحبة سنة ١٨٧٣ ففتحن مدارسهن للبنات المسلمات والمسيحيات ، وسعين في تثقيفهن وتعليمهن القراءة والكتابة وتدريبهن على الاشغال البيتية كالخياطة والتطريز والنقش ؛ ثم افتتحت الحكومة العثمانية مدرسستين للبنات ، فأتت تلك المدارس بفوائد جمة ، حيث نرى اليوم أن أغلب النساء الموصليات يتقن القراءة والكتابة ، ويحسن الاشغال البيتية كألخياطة والتطريز (١) وعلى الرغم من اعتقادنا بأن الباحث بالغ في ايراد هذا الخبر ، لأ ن الحالة الاجتماعية في الموصل في القرن التاسع عشر لم تكن تسمح بخروج المرأة من دارها الا بصعوبة بالغة ، فكيف بها وهي تذهب الى مدرسة المسيحيات لتتعلم القراءة والكتابة ؟

ومع هذا فان للخبر دلالته التي لاتنفي تردد بعض الأسر الغنية الى المدارس أو الكتاتيب لتعلم القراءة والكتابة . والذي نراه أقرب من الصحة ما ذكره جلال الحنفي من أنه (كانت هناك كتاتيب خاصة لتعليم البنات تديرها ملية وطريقة التدريس في كتاتيب البنات لاتختلف كثيراً عن كتاتيب الاولاد باستثناء قيام الملية في بعض الأحيان ، وحسب الاتفاق بتعليم البنات الخياطة أيضاً ، وعند ذاك يطلق على الملية (الاسته) ... وكانت الملية في محلتها جليلة القدر لأ نها تعرف القراءة والكتابة) (٢)

وقد اورد عبد الرزاق الهلالي ، خبر تعلم المرأة الموصلية على أيدي جهات

---

(١) سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ٣٤٥/١

(٢) مجلة المعرفة ٥٥/٣

تبشيرية كما أيد ماذكر من ترددها على الكتاتيب (١) .
ومهما يكن من الخبر الذي يشير الى تعليم المرأة ، فانه بلاشك لايخلو من صحة وهو يؤكد مدى اهتمام الناس بأمور الدين من ناحية ، كما يؤكد حرصهم على تعلم القراءة والكتابة ، وهو ما كان يدفعهم الى ارسال بناتهم الى الكتاب او الى المدارس .

الطباعة

ان أشد ماعانت منه عملية التعليم في القرن التاسع عشر هو الكتاب ، فلقد كان العصب الاساس ، والمادة الضرورية ، التي لادراسة أو تعلم بدونها ، وكان فقر الطلاب يحول مابينهم وبين الحصول على الكتب التي كانت تكتب بخط اليد، وقلّ من كان منهم يستطيع شراء الكتاب والاحتفاظ به ومن هنا كانت الطريقة المتبعة لتلقي المعلومات ، هي املاء المدرس على طلابه للمادة العلمية. وعلى الرغم مما كانت تسببه هذه الطريقة من ضياع الوقت ، الا أنها كانت الطريقة التي تخرج عليها العلماء الكبار . على ان هذا لايعني حرمان الطلاب من مطالعة الكتب (فالمدارس الكبيرة غالبها تتوفر في مكتباتها نسخ مخطوطة ، اوقفها من سبقهم من المدرسين أو الطلاب او أهل الورع ... ويقوم الطلاب بنسخ الكتب التي لاتتوفر منها نسخ كافية (٢)

هذا اذن ماكان يعاني منه الطلاب بالنسبة للمادة العلمية، التي يدرسونها ويتعلمون بها . غير انه بمرور الزمن ، وجد الطبع على الحجر ثم توفرت (مطبعة الدومنيكان لاغراض الكنيسة،وأنشئت مطبعة الولاية،ولكن أعمالها كانت مقصورة على المنشورات الرسمية ، وجريدة الزوراء الحكومية) (٣). ان مطبعة الدومنيكان التي اسسها المسيحيون سنة ١٨٦٠ في الموصل قد سدّت فراغاً كبيراً في مجال التعليم والكتب ، وذلك؛ لانها طبعت الكتب المختلفة

(١) انظر كتاب: تاريخ التعليم في العراق ص١٦٠ و ١٨١
(٢) علي علاء الدين الآلوسي: الدر المنتشر ص١٠ (٣) المصدر نفسه ص١٠

في اللغات العربية والفرنسية والكلدانية ، بذلك قدمت خدمة كبيرة للمتعلمين. ثم قدم بعد ذلك (الشماس روفائيل ، فقد اسس من أمواله الخاصة مطبعة مجهزة لكل لوازم الطبع سنة ١٨٦٣ ، وأصدرت هذه المطبعة عددا يسيرا من الكتب العربية والكلدانية والفرنسية ... ثم اسست الحكومة العثمانية مطبعة أخرى في دار الحكومة ، فاصدرت جريدة رسمية اسبوعية اخلاقية اخبارية في اللسان التركي (١) ومع ايماننا بأن هذه المطابع لم تستطع ان تحل المشاكل التي عانتها الدراسة في القرن التاسع عشر ،سواء في الكتاتيب او في المدارس ، الا ان ظهورها كان بادرة طيبة ، ونواة صالحة لأن تصبح ثمرة يانعة ، وهذا ما حصل بالفعل في أوائل هذا العصر اذا اضطر حال المدارس الحديثة وكثرة الطلاب إلى توفير العديد من هذه المطابع لتجهز الدوائر والمدارس بالكتب واللوازم الاخرى . ومهما يكن من امر هذه المطابع وقلتها فاننا نستطيع ان نقول إنها اسهمت في حل بعض المشاكل المستعصية في مجال التعليم.

الاجازة :

الاجازة هي ختام مرحلة التعليم في مدارس القرن التاسع عشر ، وهي ختام هذا البحث أيضاً . والاجازة ظاهرة علمية رفيعة ، وهي وسام المتعلمين الذين انجزوا مقرر الدراسة ومناهجها ، واجتازوها بقدراتهم الذاتية ، وكفاءاتهم العلمية ، واخلاقهم الرفيعة ، وصفاتهم الحميدة ، فلا ينالها الا من توفرت فيه هذه الشروط أو هاتيك الميزات، وبها ينتهي الطالب من مرحلة التعلم على المدرسين — غالباً — ومنها يبدأ حياة علمية جديدة . وقد يصبح بسبب الحصول عليها مدرساً ومجيزاً . (وكانت الاجازة مقتصرة على الحديث وروايته،ثم انتقل هذا من الحديث الى سواه من العلوم فاذا ثابر الطالب على الاستماع الى أمالي الشيخ في الادب أو التاريخ أو غيرهما كتب له استاذه الشهادة.

والاجازة تدل على المستوى العلمي لمن منحت له ، اذ أن الشيوخ ما كانوا يمنحون الاجازة الا لمن كان ذا معرفة تهيء له ان يجيد تدريس الكتاب المجاز به ، أو رواية الاحاديث . ويشترط لصحة الاجازة أن يكون الفرع

(١) سليمان الصائغ: تاريخ الموصل ٣٢٣/١

معارضاً بالاصل ... وان يكون المجيز عالماً لما يجيز به ، ثقة في دينه وروايته، معروفاً بالعلم ، وان يكون المستجيز من أهل العلم متسماً بسمته (١) .

والاجازة بهذا المعنى لاتمنح الا لمن قضى في رحاب العلم سنوات ، وخضع لاختبارات استاذه ، وحل محله في تدريسه ، واجتاز ما هو مكلف بـه من كتب ومواد وموضوعـات ، وهي تمنح باسم المدرس ، وكثيرا ما تمنح على ملأ من الناس .

الخاتمة :

اذا كان القرن التاسع عشر في اذهان الكثيرين من الناس عصر ظلام وجهالة ، بالنسبة للعراق ولغيره من الاقطار التي حكمها الاتراك العثمانيون ، فان هذا لايعني أن حياته خلت تماماً من ومضات النور فاذا كانت نار المعرفة قد خبت في كثير من نواحيها ، فانا قد تركت بصيصاً احتفظ بحرارة ايمان الناس بلغتهم ،لغة القرآن،وبدينهم ،وبالعلم الذي كنوا له أجل احترام.

وقد بدا هذا الايمان في اقبال الناس على التعلم ،وفي صبرهم على ما واجهوه من متاعب ومصاعب ،من أجل تحقيقه على الشكل الذي وجدناه وورثناه .

لقد اوضحت لنا الصفحات السابقة كيف أقبل الناس على التعلم . وكم تحملوا بسببه ، كما صححت هذه الصفحات الصورة الخاطئة لأولئك الناس الذين كانت لهم مثل نبيلة واصرار على احترام العلم وحملة لوائه كما تبين ان الناس لم يكونوا في جهالة عمياء ، بل كانوا يقدرون العلم حق قدره ، وينزلونه من انفسهم منزلة التجلة والتكريم .

ما الذي يستطيع أن يقدمه بحث كهذا عن جيل سبق جيلنا في الزمن شوطاً، وسبقناه في العلم أشواطاً ؟ أغلب الظن ان الذين يجهلون حياة أولئك الناس لايرون لهذا السؤال إجابة ، واجيب فأقول ،ان حياة ذلك الجيل تعلمنا احترام العلم وقوة الارادة واقتحام الصعاب ، لأن القوم ما استطاعوا أن يقدموا ماقدموه الا بمجاهدة النفس أيما مجاهدة. ولو شاء الذين يسخرون

---

(١) عبدالرزاق الهلالي : تاريخ التعليم في العراق ص ١٨٨ .

من أولئك الناس فيما قدموه وتركوه من الميراث وقالوا ، انه يدل على جمودهم ، ويشير الى تخلفهم في المنهج وفي الاسلوب ، لقلنا لهم انكم بما تسخرون منه قد حققوا المعجزات وقدموا الكثير مما لم يستطع ان يقدمه الكثيرون في الوقت الحاضر . فهم صنعوا ماصنعوا بقدراتهم الذاتية الفردية والدنيا من حولهم ضدهم، ولو قيل لي كيف تثبت ذلك بالارقام لقلت، كم نمتلك اليوم من العلماء الاعلام امثال الشيوخ : آل النعمة وآل الجوادي وآل الفخري وآل الرضواني وآل العمري وآل المفتي وآل الديوجي وآل الجليلي وغيرهم ممن تركوا مانعتز به من تراث لغوي ونحوي وبلاغي وقرآني ومنطقي وغيره . واقول ان هذه المدينة بالذات لاتزال تذكر ميراثها الفكري العربي والاسلامي فيما تركه هؤلاء ، أو فيما تركوه عند تلامذتهم .

مراجع البحث

أعلام العراق : محمد بهجة الاثرى بغداد ١٩٢٦

تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني . عبد الرزاق الهلالي . بغداد ١٩٥٩

تاريخ الموصل : سليمان الصائغ ج١ — ٢ القاهرة ١٩٢٣

الدر المنتثر في أعيان القرن الثاني عشر والثالث عشر

علي علاء الدين الآلوسي بغداد ١٩٦٧

الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر : ابراهيم الوائلي . بغداد ١٩٦١

الصناعات والحرف البغدادية : جلال الحنفي ، بغداد ١٩٦٦

عبد الباقي العمري ، حياته وأدبه . سالم أحمد الحمداني ، مطبوع على الآلة الكاتبة ، القاهرة ١٩٦٨

غرائب الاغتراب : محمود شهاب الدين الآلوسي ، بغداد ١٣٢٧هـ

مجلة المعرفة : بغداد ١٩٧٨ ج٣

مخطوطات الموصل : داود الجلبي بغداد ١٩٢٧ .

مدارس الموصل في العهد العثماني : سعيد الديوجي بغداد ١٩٦٢